الحرف والصنائع النسائيّة في المغرب الأوسط
(534– 962هـ/ 1139– 1554م)

the crafts and the women's works in the Middle Morocco(534 - 962 AH/ 1139 - 1554 CE)

صالحي وداد *

جامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي

salhi-ouidad@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/04 تاريخ القبول 2022/09/23 تاريخ النشر 2022/10/13

ملخص:

مارست نساء المغرب الأوسط عدة حرف يدوية، أجبرتهنّ متطلبات الحياة اليومية عليها ، كالغزل والنسيج والحياكة والخياطة، وتوصلت من خلال هذه الدراسة إلى معرفة مدى تأثير هذا الجانب الحرفي ومساهمته في تطوير، وتنمية الواقع الاقتصادي لبلاد المغرب الأوسط، وتؤكد المصادر التاريخية أن الفترة الزمنية التي عاشتها المنطقة تحت ظل الدولة الزيانية (633– 962 هـ / 1235– 1554م) تعتبر من أهم وأبرز الحلقات التاريخية لما شهدته من تحولات اقتصادية واجتماعية كبيرة، انعكست نتائجها على النشاط الصناعي الحرفي. والإشكالية المطروحة أمامنا في هذه الدراسة هي: ما مدى مساهمة الحرف والصنائع النسويّة في تطور اقتصاديات المغرب الأوسط ؟

الكلمات المفتاحية: المرأة ؛ الحرف ؛ الصنائع ؛ الغزل ؛ النسيج.

Abstract:

The women of Middle Morocco practiced several handicrafts, which they derived from the requirements of their daily lives, such as spinning,

* المؤلف المراسل

weaving, sewing and knitting. This study found out the extent of the influence of this craft and its contribution to the development of the economic reality of the Maghreb. Historical sources confirm that the period that the region experienced under the Zayian state (633-962 AH / 1235- 1554 CE) is considered one of the most important and historical periods of the great economic and social transformations that have been reflected in industrial craftsmanship. The question is: How much is the contribution of women's crafts and styles to Morocco's economic development?

***key words**:* Women; Crafts ; Knitting; Spinning; Textile.

مقدّمة:

عملت نساء المغرب الأوسط في العديد من الحرف اليدوية التي فرضت عليهن من خلال متطلبات الحياة اليومية، كحرفة الغزل والنسيج، والحياكة والخياطة، فما مدى مساهمة الحرف والصنائع النسويّة في تطور اقتصاد المغرب الأوسط ؟، وتكمن أهمية الدراسة في إبراز مدى تأثير هذا الجانب على الواقع الاقتصادي والمساهمة في تطوره ونموه.

وتهدف الدراسة إلى إبراز كيفية تطور مفهوم العمل في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط ، وإبراز واقع الحرف والصنائع في المغرب الأوسط، مع ذكر صنوف الصنائع والحرف النسائيّة، كحرفة النسيج والغزل، والحياكة والخياطة، ولإنجاز هذا العمل اعتمدت المنهج التاريخي التحليلي الوصفي.

1– مفهوم العمل والصنعة والحرفة في المغرب الأوسط

أ– العمل

حث الإسلام على العمل، فقد وردت في القرآن الكريم العديد من الآيات والمعاني التي ترغّب فيه لقوله تعالى" وَقُلْ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون"[1] ، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم– قد حثّ على العمل وعلى إتقانه في قوله" إنّ الله يُحِبُ إِذَا عَمِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتقِنَهُ ".

والعمل لغة من عمل يعمل عملا فهو عامل، والفعل والجمع أعمال[2].

وقد استخدم ابن خلدون مصطلح العمل في أكثر من معنى اقتصادي فاستعمله ليفيد السعي في تحصيل الرزق والمكاسب لتصبح معاشا فيقول: "اعلم أن الكسب إنما يكون السعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل فلابد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه "[3].

ب– الصناعة

جاء في القرآن الكريم: « **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسَ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بأْسِكُم** » [4] وقال تعالى: « **وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً** »[5] .

يعرف المقريزي الصناعة في اللغة فيقول أنها "بكسر الصاد مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا فهو مصنوع وصنيع عمله[6]، والصناعة حرفة الصانع، وعمله الصنعة[7]، والصنائع جمع صنيعة، وهي ما اصطنعت إلى الرجل من خير ويقال فلان صنيعه لفلان [8].

وعرّفها ابن خلدون في نقطتين أساسيتين أولهما أن الصناعة ملكة يكتسبها الإنسان بتكرار استعمالها فهي ليست فطرية فنية كما أنها قابلة للتطور، وفي تعريفه الثاني أن "الصناعة فعل عملي فكري "بمعنى آخر عمل تطبيقي وممارسة فعلية للأمر، الذي يجعل اكتسابها عن طريق الممارسة المتكررة والمباشرة الفعلية أفيد وأقرب إلى الإتقان من اكتسابها عن طريق التعليم النظري[9].

وما نقصده بالصناعة في هذا الموضوع ما يتعلق بتصنيع الإنتاج الزراعي وغيره، وتصنيعها وما يتعلق بها من الحرف المتداولة عند أهل المغرب الأوسط .

ت– الحرف

عرّفها ابن منظور بأنها الصناعة[10]، وهي وسيلة للكسب، ومنها من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها[11]، وأما الحرفي professional هو من يكسب رزقه بالعمل في حرفة ما بصفة مستمرة ومنتظمة أما المحترف من له حرفة وصنعة[12].

2– العمل وتطور مفهومه في ذهنية مجتمع المغرب الأوسط

اعتمد سكان المغرب الأوسط في المقام الأول على الزراعة، لتوفّر الأراضي الخصبة والمياه، فكان معظم البربر يمارسون الفلاحة، وكانت أراضيهم هي مورد رزقهم، لكن الوجود البزنطي[13] حرمهم هذا الامتياز الذي عرفوه، وذلك عن طريق مصادرة جزء كبير من الأراضي من جهة وفرض الضرائب والمكوس على الأراضي الزراعية التي بقيت تحت أيدي البربر[14] .

وكان الحكم قائما على السلب والنهب والتمادي في جمع الضرائب ومصادرة المنتوجات الزراعية والصناعية[15]، وهذا ما أثّر على نظرتهم للعمل .

لكن بعد الفتح الإسلامي[16]، شهد المغرب الأوسط تغيّرا ملموسا في نظرية العمل وتطوره من اعتباره وسيلة ضرورية لتحقيق العيش الكريم والاكتفاء إلى وسيلة لتحقيق التقرب من الله –عزّوجلّ– والتمكين لدينه في الأرض ونشر رسالته في جميع أقطار المعمورة، إضافة إلى كونه وسيلة الكسب الشريف والعيش الكريم[17] .

حيث بذل التابعون[18] الدور الكبير في تعليم أهل المغرب الأوسط أصول الدين وقواعده وشروطه[19]، وجاء الإسلام بقواعد وضوابط تنظّم النشاط الاقتصادي وجعل أفضل الكسب كسب الرجل من يده، ونهى عن التسوّل وأن النشاط المبذول واجب على كل إنسان لتوفير وسائل العيش للآخرين[20]، فزالت نظرة الاحتقار والازدراء للحرف الصناعية، وحثت العامة على السعي والكدّ، بينما ذمّت الكسل والبطالة واعتبرت الصنعة أول ما ينبغي للإنسان أن يتعلمه بعد معرفته بدينه [21].

وبذلك عرف المغرب الأوسط ثورة اقتصادية واضحة غيرت تاريخه ابتداءً من منتصف القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي، وعرف أوجّه خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)، فأثر الإسلام بشكل واضح وجليٍّ على المهن والحرف اليدوية في المغرب الأوسط، وهذا ما انعكس ايجابيا على الأوضاع الاقتصادية له، فزاولوا حرفا ومهنا متعددة بكل حرية،

وبالتالي ازدهرت الصناعة والتجارة وزادت الأسواق[22]، فبقدوم المسلمين الفاتحين بما فيهم من أصحاب المهن والتجار جعلت من العمل وسيلة يبتغي بها المغاربة رضوان الله تعالى، وقد تنوعت المهن والحرف بجميع أصنافها، وكثر الصنّاع والعاملون من مختلف الأجناس[23].

لذا أعطى الإسلام أهمية بالغة للعمل وممارسة الحرفة لما فيها من المصالح العاجلة والآجلة، كابتغاء الرزق وتحصيل القوت وكسب المال الحلال من منابعه، و تضمّنت العديد من آيات القرآن الكريم الحث على العمل، حيث يقول سبحانه وتعالى :"**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنُونَ**"[24]،.

أما بالنسبة لنظرة مجتمع المغرب الأوسط، فالدّارس لمصادر الفترة يلاحظ بأن السكان كانوا يعجبون بالصناعة ويحبون تعلمها ويكرهون القصور فيها.

3- الحرف الصناعية النسائية

ظهرت ببلاد المغرب الأوسط صناعات عديدة ، فصنائع المجتمع البدوي تختلف عن صنائع المجتمع الحضري حيث تتركز في الأول على توفير الطعام ، فقد اشتهر بنشاط ومهارة الصناع، وكانت هناك مراكز صناعية منتشرة عبر أنحاء المغرب الأوسط، ويصفها عبد الرحمن بن خلدون بقوله: " ورحل إليها الناس من القاضية ، ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء ..."[25] كما كانت الصناعة في دولة بني عبد الواد[26]، تخضع إلى عدة عوامل منها توفر المواد الأولية ونشاط الحركة التجارية واتساع العمران [27] وعامل الأمن والاستقرار، وتشجيع الحكام والدولة لها وتوفر الأسواق وكذا توفر المواد الأولية [28] حيث عرفت أنواع الصنائع والحرف في المجتمع الزياني القاعدة الإنتاجية للمدينة لما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية وكانت تحول إلى بضائع استهلاكية معدنية أو فلاحيّة قابلة للتسويق [29]، وعرفت

تلمسان في مجال الصناعة تطورا هاما وملحوظا في العهد الزياني بالمغرب الأوسط ولهذا اشتهرت عدة صناعات تقوم بالأساس على النشاط اليدوي التقليدي[30].

ومن بين الحرف والصناعات النسائية التي ظهرت، واشتهرت بالمغرب الأوسط ، والتي موّلت التجارة وشكّلت نسبة هامة ضمن قائمة الصادرات وعرفت جزءا من الواردات.

أ– حرفة الغزل

الغزل هو كل ما يتم تحويله من الصوف والكتان والقطن والحرير الخام من صفته الطبيعية إلى خيوط متناهية الرفع والغلظ، وهي حرفة قديمة مارستها فئة كبيرة من نساء المغرب الأوسط لسهولتها وباسطتها وانتشارها بين النساء، ومن العادات التي كانت معروفة بين نساء تلمسان عادة التويزة وكان يجتمعن عند امرأة واحدة يغزلن في منزلها إعانة لها[31]، حيت كانت المرأة التلمسانيّة تكسب قوتها من غزل ونسج يديها[32] ، فظهرت ورشات لغزل الصوف الرقيق، كعائلة أبي زيد النجار[33]، واشتهر الزيانيّون بحرفة حياكة الصوف والاحتراف بصنع الكساء، والبرنس[34] عندهم من ثماني أواقٍ[35] والأحرم من خمس، وكانت هذه الألبسة تطلب من جلّ الأمصار شرقا وغربا[36]، وفي قلعة بني حماد كانت صناعة الغزل والنسيج صناعة قوية متكاملة، تمارسها النساء عادة[37]، فكثرت معامل النسيج والزرابي (السجاد) وازدهرت[38]، ومنه زادت اليد العاملة النسوية، بزيادة الطلب على هذا النوع من الحرف، ومنه ساعدت الاسرة والمجتمع والاقتصاد للوصول إلى الرخاء .

ب– حرفة النسيج

يعد الغزل والنسيج من أشهر الحرف التي عرفت بها المرأة في المغرب الأوسط، وجعلتها مهنة للاسترزاق، وذلك بسبب وفرة المادة الخامة كالصوف وغيره من المواد الأولية، فازدهرت صناعة النسيج وتنوّعت، فنجد صناعة الأقمشة والأغطية والألبسة

والزرابي والبرانس [39] من القطن والصوف ونسيج الصوف مع الحرير، ونجد البرنس عندهم من ثماني أوراق والأحرم من خمس، ويقول يحي ابن خلدون"... ويعمرها ناس أخيار غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء ، والبرنس ..."[40] ونتيجة حركة تصدير المنتجات من الأصواف والجلود والسمن والنباتات الطبيعية [41]، عم الرخاء الاقتصادي وازدهرت حركة التبادل التجاري ، وانتشرت صناعة النسيج في كامل المغرب الأوسط[42].

ولا يمكن حصر استعمالات النسيج، فمنها الخيام على اختلافها، والأثاث المنزلي كالفراش والوسائد والستائر وغيرها، ويذكر الحموي أن أهل تبسة[43] محترفون في صناعة البسط فقال:" يعمل بها بسط جليلة محكمة النسج"[44]، وذكر القلقشندي بخصوص جبل الونشريس[45] "...أن فيه تعمل البسط الفائقة"[46].

وشجعت الدولة الموحديّة الصناع لازدياد حاجة الدولة للصنائع وذلك لاتساع رقعتها الجغرافية، حيث ساهم الأندلسيون في تطويرها من خلال خبرتهم الكبيرة في شتى الصنائع، فظهرت ببلاد المغرب الأوسط صنائع عديدة ، إلا أنها كانت تختلف من مكان إلى آخر على حسب عادات وتقاليد المنطقة، ونوعية ثقافة الوافدين إليها، وحسب ما أوردته كتب الرحلات خلال القرن (4-5هـ/10-11م) نجد أنها لم تذكر أي إشارة لصناعة المنسوجات بل اكتفوا بذكر المواد المستعملة فقط كالكتان والقطن والصوف والحرير، إلاّ أن صاحب الاستبصار أشار إلى وجود هذه الحرفة في مدينة بجاية[47]، التي اختص أهلها بصناعة العمائم فيقول "كانت لملوك صنهاجة[48] عمائم مذهّبة، وكانوا يعمموها بأتقن صنعة، فتأتي كأنها تيجان"[49].

وكانت صناعة الغزل والنسيج في قلعة بني حماد[50] صناعة قوية متكاملة تمارسها النساء عادة[51]، فكثرت معامل النسيج والزرابي(السجاد)[52]، وأخبرنا الحموي من جهته بأن القلعة كانت مشهورة بالملابس الجميلة قائلا "وبها الأكسية القلعية الصفيفة

النسيج الحسنة المطرزة بالذهب، ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل من الذهب بمنزلة الإبريسم[53]"،

وتعدّ حرفة الغزل والنسيج من أهم الحرف التي اعتمدت عليها نساء المغرب الأوسط في اكتساب الرزق إذا مرت الأسرة بضائقة مالية، أو انهيار المستوى الاجتماعي للأسرة، وأما خارج الأزمات كانت المرأة تغزل وتنسج الثياب لأفراد أسرتها فقط، ليحصل الاكتفاء الذاتي من المنسوجات، ومنه يحدث فائض للإنتاج فيصدر إلى خارج الدولة فيكون العائد منه كبير جدا فيتحسن اقتصاد الدولة ويزدهر، ولهذا نجد أدوات الغزل والنسيج موجودة دائما في كل منزل من منازل المغرب الأوسط، وهذا دليل على تعلق نساء المنطقة بهذه الحرفة. وهذا ما سنوضحه في هذا الجدول الذي يلخص أسعار خيوط الصوف مع مكان الانتاج والتصدير من خلال ما أورده الزهري[54]

الفترة	مكان الانتاج	التصدير	مكان البيع	سعر البيع	الكمية	المصدر
730– 732هـ/ 1329– 1331م	المغرب	مايورقة	مايورقة	3.5دينار 100فلس مايورقي	1قنطار	481
730– 732هـ/ 1329– 1331م	المغرب الأوسط	مايورقة	مايورقة	أقل من دينارين	1قنطار	481
القرن 6هـ/ 12 م	المغرب/مصر	/	مصر	3دنانير مغربية	1 درهم	119

وعن هذه الحرفة ذكر الونشريسي نازلة تتحدث عن رجل حلف لزوجته باللازمة أن لا يشتري لها كتانا ولا يطلع في عنقه ثوبا من غزلها، وسبب ذلك دين اشتكى عليها[55].

ت– **صناعة الجلود ودباغتها**

كانت جلود المواشي والعجول والخيول والأبقار تذبح خارج تلمسان وتصدر لبلدان أوروبا، وقد اهتم الأوربيون بجلود الخرفان التي كانت تصدّر إلى ايطاليا[56] وتم صناعة السروج والسندال والأحذية، أما الدبّاغون فكانوا يعدّون الجلود للدبغ من خلال إزالة الشعر من الجلد وإعداد الرحيق اللازم للدباغة والجالية الأندلسية ساهمت بتطوير صناعة الجلود، وكانت الأحذية تصدّر إلى السودان الغربي وخاصة البلغة التي نقلت عن تلمسان[57].

ث– **حرفة الصباغة :**

وجدت بتلمسان مهنة صباغة الأقمشة وهي صناعة تابعة للصناعة النسيجية واستخدمت فيها مواد مختلفة من الصباغة مثل النيلة، وورد النيل والسماق.

أولا: الصبغة الحمراء

يتم استخراج القرمز من إناث حشرات صمغ الألك.

ثانيا: الصبغة الزرقاء

تصنع من خلال رصّ نبات النيلج ويترك في الماء يوما ثم يؤخذ الراسب في خوابي ويملأ بالماء ويستعمل[58].

ثالثا: **الصبغة الصفراء**

أما المواد التي تستخدم أصباغا صفراء هي العصفر والورد والزعفران والهردء...[59].

ج– **حرفة الحياكة**

وتعتبر حرفة الحياكة من الحرف الضرورية للإنسان وذلك لاشتمال اللباس والثياب على الكتان، ويعرّفها ابن خلدون بأنها "...هي إلحام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا، وهو النسيج والحياكة ... لاشتمال الثياب على القطن والكتان للباس ..."[60]، واورد الزهري في كتابه أنه يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات وأحاريم الصوف والسفاسير[61]، والحنابل[62]، المكلكلة ...وكساء كامل وزنه تسع أواقي ونحوها[63].

وكان أبو الحسن المريني تأتي إليه الثياب التلمسانية الخالصة[64]، وكان أهل وهران[65] ممن امتهنوا الحياكة وقد عاش الكثير من أهلها من مدخولها**[66]**، وكذلك أهل مدينة مستغانم[67] وبرشيك[68] ومازونة[69] ومليانة[70] كانوا نسّاجين محترفين يقتاتون منها [71]، وذكر في نازلة" ...هل يحق للمرأة أن تشتري الصوف وتسرف فيه بالغسل، فهل يحق للزوج منعها"**[72]**، وهذه النازلة تدل على ممارسة وامتهان النساء لحرفة الحياكة أكثر من الرجال.

د– حرفة الخياطة

ويذكر ابن خلدون " إنها تفصل المنسوجات بالمقراض قطعا مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة ...[73] وقد احترف أبوعلي بن الحباك [74] الحياكة، والخياطة[75]، وتطلعنا بعض النوازل على المظاهر السيئة بخياطة بعض الألبسة الرقاق التي تظهر العورة بقول الونشريسي " ومنها اتخاذ الرقاق، وقد كانوا يكرهون الثياب الرقاق، ويقولون أنّ الثياب الرقاق ، لباس الفساق، من رقّ ثوبه رقّ دينه"[76]، ومع هذا خاطت النساء هذه الثياب ولبستها، وخصوصا في الحواضر.

حيث كانت حرفة الخياطة خاصة بالنساء على وجه العموم، تمارس في البيوت أو في سوق خاصة للغزل، فنجد أنها انتشرت في مدن المغرب الأوسط، حيث أشار ابن

القوطية إلى أحد الخياطين في مدينة تاهرت[77] كان يمتهنها [78]، وكان منهم من يخيط للخاصة من حكام وأمراء ومنهم من كان

يخيط للعامة، فصنعت النساء المناديل والملاحف[79] من القطن والكتان، وكانت الأثواب تصنع أسديتها من الكتان وبطانتها من القطن[80]، وهذه الصنعة مختصة بالعمران الحضري فقط، بسبب حاجتهم للملابس واعتنائهم بها، وصرح ابن مرزوق الخطيب أنّ درب سيدي شاكر في تلمسان كان من أهم الدروب المتخصصة في حياكة وخياطة الملابس الصوفية[81].

أما حرفة القصارة فهي قيام النساء على إصلاح الثياب البالية عن طريق غسلها بالماء والصابون وتعريضها للشمس، والهدف من القصارة هو إعادة الصناعة والبياض للثوب المتسخ الرث [82]، ويبدو أنّ القصارين لم يلتزموا بهذا، ودلسوا في الصنعة وهذا ما نستشفه من قول الونشريسي "... مصالحة الثوب القديم بالقصارة ... بأنه جديد كالصبغ في بعض الألبسة البالية ... وخياطتهم أثوابا يزعم أنها جديدة ...."[83]، ولهذه الحرفة موضع معروف بتلمسان يقصده أهل البلد لغسل ثيابهم يسمى" رأس القصارين "[84]، واشتهرت النساء بهذه المهنة وبرعت فيها.

هـ– حرفة صناعة السلال والقفاف

اعتمدت هذه الحرفة على بعض النباتات كدوم والحلفاء والديس من الجبال والأحراش والشعاب القريبة من تلمسان[85]، وكان من يمارسها يدعى بالقفاف أو البرادعي أو الحنفاوي[86]، وأمتهنها الرجال والنساء على حد سواء[87]

و– صناعة الفخار

أما فيما يتعلق بصناعة الفخار فتعتبر هي الأخرى من الحرف التي عرفتها نساء المغرب الأوسط ومارستها، فقد وجدت بتلمسان أفرانا خاصة بالفخار[88]، صنعت بها الكثير من الأدوات الفخارية التي يحتاجونها للاستعمال المنزلي ، كالأباريق والأقداح والأطباق

وغيرها من الأدوات المنزلية، وكان مركز صناعة الفخار في الطريق المؤدية إلى الساحة بالقرب من باب العقبة، وفي باب القرمادين[89]، وهو ما أعطى الباب اسمه، بما أنه كان مركزا لصناعة الفخار والقرميد،حيث وجدت أفرانا لصناعة الفخار بها[90].

خاتمة

إن اجتماع العديد من العوامل ادى إلى التسهيل في قيام العديد من الحرف والصنائع التي اشتهرت بها نساء المغرب الأوسط على غرار رجالها، كصناعة النسيج في تلمسان التي أشار إليها صاحب كتاب الاستبصار والزهري، وصناعة الفخار والخزف في بجاية، وكان النصيب الأكبر للثروة المعدنية والحيوانية والزراعية في بلاد المغرب الأوسط في قيام صناعات مختلفة .

وكان الاحتكاك بالوافدين إلى الحواضر مثل الأندلسيين، واليهود والتجار وغيرهم ممن مروا على المدن الكبرى، أثره على تطور وتحسن المنتوجات الصناعية النسائية، مما زاد في طلبها من قبل التجار ومنه ازدهار الحركة الاقتصادية الداخلية والخارجية للدولة.

وكانت الظروف الاجتماعية سببا بارزا لدخول المرأة في المغرب الأوسط إلى معترك العمل، وذلك لمساعدة زوجها أو لتلبية طلب أفراد عائلتها، وذلك بكسائهم مما تصنعه يديها من الصوف والقطن وغيرها، من مستلزمات البيت من أواني فخارية وقفاف وغيرهما، وكان ما يزيد عن حاجتها يباع في الأسواق، ولهذا كان للمرأة الدور الهام في تحريك عجلة اقتصاد المغرب الأوسط، من خلال الاكتفاء الذاتي للأسرة، وظهر هذا الأمر خصوصا في عهد الدولة الزيانية، التي عرفت تطورا ملحوظا في حركة اقتصاد الدولة وتجارتها.

وبالرغم من تواجد كل هذه الحرف التي مارستها نساء المغرب الأوسط، ولكن مساهمتها في اقتصاد المغرب الأوسط كان محتشما، لأن النساء لم تكنّ تصنع من أجل التجارة واقتصاد الدولة ، وإنما كان من أجل أن تقتات هي وأطفالها، ولتساعد الرجل من

زوجٍ أو أبٍ أو أخٍ، على مشاق الحياة اليومية، فرغم ولوج النساء ميدان الحرف والصنائع إلا أنّهم ليسوا اليد المباشرة التي بها تزدهر حركة الاقتصاد أو تقل، إنما هم عنصر فعال ضمن المجتمع لهم الدور الغير المباشر في تطور اقتصاد بلاد المغرب الأوسط.

الهوامش:

[1]– سورة الملك: لأية104.

[2]– ابن زكريا أحمد بن فارس (ت395هـ/ 1005م)، **معجم مقاييس اللغة**، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، ج2،(د، ب)، 1979، ص145.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون(732–808هـ/1332–1406م)، **مقدمة ابن خلدون**، تح: أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007، ص ص 47–478.

[4]– سورة الأنبياء: الأية80.

[5]– سورة الكهف: الأية 129.

[6]– المقريزي تقي الدين أحمد(ت845هـ/1441م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تح مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ج3،(د، ب)، 1997، ص5.

[7]– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت 817هـ/ 1414م)، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرق سوسي، مؤسسة الرسالة، ج1، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص951.

[8]– البطليموسي أبي محمد عبد الله (ت521هـ/1127م)، **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب**، ج1، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1996، ص47.

[9]– ابن خلدون: المقدمة، ص501 وما بعدها .

[10]– أبو الفضل جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، ج8، بيروت ، ط3، (د، ت)، ص839.

[11]– شوقي ضيف وآخرون، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط1، 2004، ص167.

[12]– هدى محمدي السيد عبد الفتاح، **معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي**، بلنسرية للنشر، مصر، ط1، 2008، ص ص 42–43.

[13]– **الوجود البزنطي (534م–647م)**: حلّت الإمبراطورية البزنطية عام 330م محل الإمبراطورية الرومانية واتخذت من القسطنطينية عاصمة للمسيحيّة، وبمجرد احتلالهم لنوميديا قام النظام البزنطي في 534م بفضل جوستنيان، واتخذ من قرطاجة عاصمة لمستعمراته في إفريقية أنظر :عمار عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ماقبل التاريخ إلى 1962م**، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص54 وما بعدها .

[14]– أم كلثوم بن يحي، نظرية العمل في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع، **المجلة الناصرية**، جامعة بشارو بشار، ع: 4 ، 2013م ، ص52.

[15]– نجيب زيبب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس**، تق: أحمد ابن سودة، ج2، دارالأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، 1995، ص ص 9–10.

[16]– **الفتح الإسلامي** : بدأت الفتوحات لإسلامية للشمال الإفريقي في سنة (27هـ/647م) في عهد عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه– تحت قيادة عقبة ابن نافع الذي نجح في فتح برقة وطرابلس، واستمرت الفتوحات نحو سبعون سنة أنظر:عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ الجزائر عامة ماقبل التاريخ إلى 1962م،المرجع السابق، ص 57 وما بعدها.

[17]– أم كلثوم بن يحي، نظرية العمل في الإسلام ودورها في تنمية المجتمع، المجلة الناصرية، المرجع السابق، ص34.

[18]– **التابعين:** بعثهم عمر بن عبد العزيز وهم عشرة أهل علم وفضل ومنهم عبد الرحمان بن نافع، وسعيد بن مسعود التجيبي وغيرهم . أنظر:حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر،(د، ت)، ص296.

[19]– حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، المرجع السابق، ص296.

[20]– فاطمة بور، الوظائف الحضارية للقيم الإسلامية في فكر مالك بن نبي، **دورية كان التاريخية**، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، ع: 24، 2014م، ص106.

[21]– إبراهيم القادري بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص170.

[22]– جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق في العصور الوسطى**، تر محمود عبد الصمد هيكل، دط، منشأ المعارف، الإسكندرية، مصر،1991، ص ص 43، 91.

[23]– لخضر عبدلي، الحرف والحرفيون في مدينة تلمسان، **دورية كان التاريخية**، المركز الجامعي لولاية البيض، الجزائر، ع: 21، 2013، ص81.

[24] – سورة التوبة، الآية: 105،.

[25]– يحي بو عزيز، **تلمسان عاصمة المغرب الأوسط**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر،2007، ص25.

[26] – **دولة بني عبد الواد: وهي الدولة الزيرية** (362– 454هـ/ 972– 1062م)، التي تأسست في المهدية بالمغرب الأدنى، على يد الأمير بلكين بن زيريين مناد، عقب رحيل الفاطميين إلى مصر. ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ/ 1405م) : **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مر: سهيل زكّار، دار الفكر، ج6، بيروت، ط4، 2000، ص 353.

[27] – خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بني زيان**، دار الأملعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2011،ص235.

[28] – إدريس بن مصطفى، **العلاقات السياسية والاقتصادي للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبرية في عهد الدولة الزيانية** ،(رسالة ماجستير)، قسم التاريخ، جامعة سعيدة، الجزائر، 2013–2014، ص427.

[29] – فؤاد طواهره، المجتمع والاقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني (ق7–9هـ/13–15م)، **مجلة الدراسات التاريخية**، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، ع:16، 2014، ص84

[30] – خالد بلعربي ، تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية ، المرجع السابق، ص261

[31] – لخضر العربي، **الحرف في تلمسان على العهد الزياني**، (رسالة ماجستير)، جامعة مصطفى إسطنبول، معسكر، الجزائر، 2010 2011م ، ص84.

[32] – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان العهد الزياني**، موفم للنشر، ج1، الجزائر، 2011، ص295.

[33]– عبد العزيز فيلالي، تلمسان العهد الزياني، المرجع السابق ، ص220.

[34] – **البرنس:** هو كل ثوب رأسه منه، ويطرح غطاء الرأس منسدلا على الظهر، يستعمل في حالة الأمطار والبرد الشديد. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، المصدر السابق، ج8، ص 126.

[35] – **الأوقية** : من أشهر الموازين التي كانت منتشرة في العلم الإسلامي، وتساوي اثني عشر درهما. أنظر: نفسه، ج 11، ص286.

[36] – يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح عبد الحميد حاجيات،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ج1،الجزائر، 2007، ص130.

[37] – إسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1998، ص239.

[38] – عمر فروخ و**تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف**، دار العلم للملايين، ج4، بيروت، لبنان ،2006، ص 548.

[39] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بني زيان،المردجع السابق، ص237.

[40] – يحي ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق،ج1،ص92.

[41] – جيلالي صاري، **تلمسان الزيانية** ، تر: مسعود لحاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، سنة 2011، ص43.

[42] – حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي: **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، ط2، 1983، ص ص13-15.

[43] – **تبسة:** مدينة عتيقة حصينة، بناها الرومان في تخوم نوميديا على بعد مائتي ميل جنوب البحر المتوسط. ينظر: حسن الوزان، المصدر السابق ،ج2، ص 63.

[44] – أبو عبد الله بن عبد الله ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر مج2، بيروت، 1977، ص13.

[45] **جبل الونشريس:** جبل شاهق تسكنه قبيلة نبيلة ، تكثر في الجبل العيون وتربته جيدة للزراعة، وفي قمته كمية وافرة من معدن التوتيا(الزنك). ينظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 45.

[46] – القلقشندي أبو العباس، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب الخديوية، ج5، القاهرة، مصر، 1915، ص174.

[47] – **بجاية:** بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء ، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب ، وأول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد ابن زيري بن مناد بن بلكين الصنهاجي في حدود سنة (457هـ/1064م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج1، ص 339.

[48] – **صنهاجة:** هي عبارة عن قبائل تنقسم إلى سبعين قبيلة منها لمتونة ومسوفة.... ينظر: إسماعيل بن أحمد، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص 27.

[49] – مؤلف مجهول (ت ق6هـ/ 12م)، **الاستبصار في عجائب الأبصار" وصف مكة والمدينة بلاد المغرب)**، نشر وتعليق سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، (د،ت، ن)، ص129

[50] – **قلعة بني حماد:** مدينة أزلية تقع على نهر عظيم كثير الزرع والخيرات، اشتملت القلعة على ثلاثة أبواب (باب الأقواس في الشمال – باب جراوة في الجنوب الشرقي – باب الجنان في الجنوب الغربي)، كما احتوت القلعة على العديد من القصور،

ففي وسط المدينة وعلى بعد 150متر من الجامع الأعظم بني دار البحر وقصر المنار من الشرق. ينظر: مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص55.

[51]– إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، المرجع السابق، ص239.

[52]– عمر فروخ ، **تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف**، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،2006، ص 548.

[53] – **الإبرسيم**: وهو نوع من خيوط الحرير، ويسمى أيضا بوشر. انظر: رينهارت آن دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، تع: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والإعلام، ج 1، الجمهورية العراقية، 1979، ص 66.

[54]– دولورس برامون، المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمد الزهري، تع: فرحات الدشراوي، **مجلة دراسات اندلسية(41–52)**، ع: 3، مطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ديسمبر 1989، ص ص 119، 481. وينظر أيضا: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج4، ص390.

[55]– أحمد أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح : جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ج4، المغرب،1981، ص 128.

[56] – بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان **في العهد الزياني (633– 963هـ/ 1235– 1556م)**، (رسالة ماجستير)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002 ، ص187.

[57] – مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية**، منشورات الحضارة، ج2، الجزائر، 2009، ص ص93-94.

[58] – علي جمعان الشكيل، صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية، **مجلة أفاق الثقافية والتراث**، جامعة صنعاء، اليمن، ع: 27، 2001، ص 147.

[59] – يسمى عود عروق الصباغين وهو عروق نبات أصفر معروف بالجودة وحدة الرائحة، ويسمى الكبير منه الكركم ويستخدم صبغة صفراء جميلة. .ينظر :نفسه، ص 148.

[60] – عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ص381.

[61] _ **السفاسير**: جمع سفساري، وهو لباس تلبسه المرأة الحضرية لتختفي به عن أعين الناس من غير المحارم. انظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج 1، ص 74.

[62] – **الحنابل**: جمع حنبل، وهو نوع من الزرابي (البساط). انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان،المصدر السابق، مج4، ص 378.

[63] – الزهري أبو عبد الله، **كتاب الجغرافية وما ذكره الحكماء فيها من العمارة وما في كل جزء من الغرائب والعجائب تحتوي على الأقاليم السبعة وما في الأرض من الأميال والفراسخ**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، مصر،(د،ت، ن)، ص113.

[64] – ابن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تقد: محمود آغا بوعياد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص 129.

[65] – **وهران:** مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون، تقع على شاطئ البحر المتوسط، بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان. انظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 30.

[66] – حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 30.

[67] – **مستغانم:** مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثة أميال شرقي مدينة مزكران. انظر: نفسه، ج2، ص 32.

[68] – **مدينة برشك** : مدينة تقع في الساحل الغربي للمغرب الأوسط، ما بين مدينة تنس وشرشال. ينظر: لخضر عبدلي: التاريخ السياسي لمملكة تلمسان، المرجع السابق، ص76.

[69] – **مازونة:** مدينة بناها الرومان على بعد أربعين ميلا من البحر. انظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج2، ص 36

[70] – **مليانة:** بالكسر ثم السكون، وهي مدينة حسنة المكان، تقع آخر إفريقيا، بينها وبين تنس أربعة أيام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، مج5، ص 196.

[71] – حسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق ، ج2، ص ص ص 31، 35– 36.

[72] – أبو زكرياء يحي بن موسى المغيلي المازوني، **الدرر المكنون في نوازل مازونة**، تح: مختارحساني، مراجعة مالك كرشوس الزواوي، دار الكتاب العربي، ج2، الجزائر، 2009، ص 33.

[73] – ابن خلدون ،مقدمة ابن خلدون، المصدر السابق، ص381.

[74] – **أبو علي بن الحباك** : هو الشيخ أبو علي عمر بن العباس الصنهاجي المعروف بالحباك متجردا عن الدنيا، مجاهدا لهوى النفس. ينظر: يحي ابن خلدون،بغية الرواد، المصدر السابق، ج1، ص107.

[75] – نفسه، ص118.

[76]– الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، المصدر السابق،ج2،ص479.

[77] – **مدينة تيهرت:** أسسها الإمام عبد الرحمن بن رستم الفارسي الإباضي سنة(161**هـ**/ 778م)، و تعتبر مدينة تاهرت أقدم مركز ثقافي ببلاد المغرب الأوسط. ينظر: محمد إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985، ص 95.

[78]– ابن القوطية (ت 327هـ/977م)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ج2، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص103.

[79] – **الملاحف:** جمع ملحفة هي عبارة عن نوع من الإزار، يكون عرضها بمقدار ثلاثة أذرع تقريبا، وطولها بحوالي ثمانية أو تسعةأذرع. ينظر: ل. أ.ماير، **الملابس المملوكية**، تر: صالح الشيتي، مر وتق: عبد الرحمن فهمي محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972، ص 160 .

[80]– الهادي روجي إدريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص249.

[81]– أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(ت 781هـ/ 1380م)، **المناقب المزوقية**، تح سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 2008، ص189.

[82]– لخضر العربي، المرجع السابق،ص88.

[83] – الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، المصدر السابق ،ج2، ص ص 219، 504.

[84] – لخضر بالعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بني زيان، المرجع السابق،ص90.

[85] – نفسه، ص91

[86]– الحلفاوي: هو الذي يقوم بنسج الحلفاء والبرادعي هو صانع البرادع التي توضع على ظهور الحمير والقفاف صانع القفف من الدوم.انظر: نفسه، ص90.

[87] – ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** ،تح: أحمد التوفيق ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1997،،2،ص 294

[88]– مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، المرجع السابق، ج2،ص95.

[89]– باب القرمادين: احد أبواب تلمسان الواقعة شمالا، ينظر: يحي ابن خلدون، بغية الرواد، المصدر السابق،ج1، ص.90.

[90] – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق ،ج1، ص239.